

معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

تحليل السياسات

روسيا والجزائر: ماضي مجيد ورؤية لتغيير العالم  
"شراكة استراتيجية شاملة من بوابة بريكس"

الدكتور عوض سليمان

باحث في العلاقات الدولية

مدير وحدة الابحاث والدراسات الدولية

زيارة الدولة التي قام بها الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون لروسيا الاتحادية، وما انتجته من توقيع شراكة استراتيجية شاملة مع موسكو، شملت العديد من الاتفاقيات في كافة المجالات: العسكرية -التقنية، المجال الصناعي، الطاقة، القطاع المالي، الجمارك، القطاع التجاري، القطاع الزراعي/الفلاحة، العلوم الدقيقة، وفي المجال السياسي، كانت زيارة ناجحة بامتياز. وعمقت جذور الشراكة الاستراتيجية القائمة اصلاً بين البلدين وسعت الى تفعيلها، جنباً الى جنب مع مطالبة الرئيس الجزائري تبون للرئيس الروسي بوتين باخذ الطلب الجزائري للانضمام الى مجموعة بريكس على جناح السرعة. مؤكدا استعداد بلاده لتعميق وتفعيل الشراكة الاستراتيجية مع موسكو ورفعها الى مستوى جديد من التعاون بما فيها فتح بنوك روسية في بلاده، ضمن خطة حكومته القائمة على الانفتاح الاقتصادي المتعدد على اقتصادات دول العالم.

تاريخياً احتفظت الجزائر بعلاقات مميزة مع الاتحاد السوفييتي السابق منذ ستينيات القرن الماضي، وكانت موسكو في حينه المورد الاساس للسلاح للجيش الجزائري الناشئ حديثاً، واستمرت هذه العلاقات بالتطور الثابت مع روسيا الاتحادية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، لتشمل جميع المسارات الاقتصادية والسياسية والصناعية والعسكرية... ومع انطلاق العملية العسكرية الروسية في الدونباس/ شرق اوكرانيا، فجر 24 شباط فبراير 2022، اتخذت الجزائر موقف المحايد المائل الى تبني مواقف موسكو، وامتنعت عن التصويت على خمسة قرارات صاغتها الدول الغربية لصالح اوكرانيا في الجمعية العامة للأمم المتحدة، في السياق، رفضت الجزائر الانصياع للضغوطات الغربية الداعية لادانة ما تسميه بروكسل الغزو الروسي لاوركرانيا، بالاضافة الى الضغوطات الممارسة عليها لخفض تسارع وتيرة التعاون مع موسكو. كما رفضت الجزائر ارسال أي مساعدات عسكرية لاوركرانيا إنطلاقاً من مبدأ عدم الانحياز التي تتبناه في سياساتها الخارجية. على العكس من ذلك، اعلنت الجزائر في تشرين الثاني/نوفمبر 2022 رغبتها للانضمام الى مجموعة بريكس BRICS والتي تضم كل من (الصين، البرازيل، الهند، جنوب افريقيا الى جانب روسيا). وهو الامر الذي اعاد تأكيده الرئيس الجزائري تبون خلال لقائه بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين على هامش مشاركته في فعاليات مؤتمر سانت بطرسبرج الاقتصادية المنعقدة اعماله خلال الفترة الممتدة من 14-17 حزيران يونيو.

الاستقبال المهيّب الذي حظي به الرئيس الجزائري من قبل نظيره الروسي، وإعلان التمسك بالتعاون الثنائي والشراكة وتهيئة الظروف لرفع حجم التبادل التجاري، واعتبار الجزائر من أهم شركاء موسكو في افريقيا. أرسل اشارات واضحة الى أهمية ابعاد الشراكة الاستراتيجية الطموحة للبلدين الصديقين في عالم جديد متعدد الاقطاب، والتي وقع عليها الرئيسان تبون وبوتين وشملت عددا من المجالات، - وفقاً للمواقع الاعلامية الرسمية الروسية والجزائرية، من أبرز هذه المجالات: المجال العسكري - التقني، ويضمن ذلك تعميق التعاون العسكري بين وزارتي دفاع البلدين في مجال الصناعات والتكنولوجيا العسكرية، الى جانب الاستمرار في تنظيم المناورات العسكرية والتدريبات العسكرية المشتركة. في المجال الصناعي، اتفق الطرفان على التعاون المشترك والبناء في مجال صناعة الطيران، السيارات، الادوية والصيدلة، صناعة الالات الزراعية وعربات السكك الحديدية. في قطاع الطاقة: اتفق الطرفان على استمرار التعاون والتنسيق مع منظمات الطاقة الدولية وخاصة منظمة اوبك+، الى جانب التعاون في مجال الطاقة المتجددة وتنمية القدرات النووية لدى الجزائر واستخدامها في المجال السلمي. في المجال المالي، اتفق الطرفان على تطوير التعامل المباشر بين البنوك والدفع باتجاه استخدام العملات الوطنية في التجارة البينية بين البلدين بعيدا عن الدولار الامريكي، ورفع حجم التبادل التجاري الى ما بعد الثلاث مليارات دولار القائمة الان. في المضمار السياسي، اتفق الطرفان على التمسك بمبدأ عدم السماح بتشويهه وتزوير التاريخ وعدم السماح بتمجيد النازية والروسوفوبيا والاسلاموفوبيا.

من ناحية، ترى الجزائر الجديدة ان إعادة ضبط عقارب الساعة لتحرر من القيود السياسية وخاصة الغربية - بعد خذلانها من جانب امريكا وبعض الدول الغربية في قضية الصحراء الغربية، نحو اطلاق شراكات متعددة مع كافة الاطراف والاقطاب العالمية بما فيها روسيا واعضاء مجموعة البريكس التي فاق انتاجها الاجمالي المحلي ناتج دول مجموعة السبع G7 مجتمعة لأول مرة منذ انشائها، وبات ثقل ميزان الاقتصاد العالمي يميل لصالح دول شرق الكرة الارضية، والتي باتت ترسم خارطة عالم متعدد الاقطاب بعيدا عن الهيمنة الامريكية، هو امر ذو اولوية قصوى لمستقبل الجزائر ومصالحها الحيوية كدولة ساعية لان تكون ذات ثقل في النظام العالمي الجديد.

هذا التوجه الجديد للجزائر، سبق وان رفضه المشرعون الامريكويون، وعبر عنه 27 برلمانياً امريكياً بقيادة عضو الكونجرس ليزا ماكلين في وثيقة تم رفعها الى وزير الخارجية الامريكوي انتوني بلينكن اواخر ايلول سبتمبر 2022، تطالبه بفرض عقوبات على الجزائر، بسبب توقيعها صفقات سلاح مع موسكو بقيمة 7 مليارات دولار، الامر الذي يثير مخاوف المشرع الامريكوي وفقاً للوثيقة. ودعا المشرعون الأمريكويون وزير الخارجية ووزيرة الخزانة الامريكوية جانيت يلين، إلى تنفيذ قانون مكافحة أعداء أمريكا من خلال نظام عقوبات (CAATSA)، الذي أقره الكونغرس في عام 2017.

من ناحية اخرى، ينظر الغرب الى اعادة توثيق وتفعيل الشراكة الاستراتيجية التاريخية بين موسكو والجزائر، على انها صفقة جديدة من الجانب الروسي-الجزائري لاوروبا والغرب الجماعي عموماً، لعدة اسباب: أولاً. هذه الاتفاقيات تؤكد من جديد ان الجزائر لن تلتزم بنظام فرض العقوبات احادي الجانب على موسكو والذي يطالب به ويُطبقه ساسة الغرب الجماعي.

ثانياً: لن تلتزم الجزائر بقرار محكمة الجنايات الدولية الداعي الى اعتقال بوتين باعتباره "مجرم حرب" والصادر تحت الضغط الامريكوي والغربي على اعضاء وقضاة المحكمة الدولية، بل على النقيض من ذلك، تعتبره حليفاً موثقاً ومرحباً به على الارض الجزائرية.

ثالثاً: تكتسب موسكو حليفاً آخر موثق الى جانب السعودية ملتزماً بمقررات اوبك+، باعتبار الجزائر مصدر اساسي كبديل لسد النقص الكبير في سلاسل توريد الطاقة الروسية خاصة الغاز، كانت تعول عليه الدول الاوروبية والان اصبح غير متاح بسهولة.

رابعاً: الاتفاقية الاستراتيجية تعطي موسكو مزيداً من النفوذ في غرب البحر الابيض المتوسط. وتوسع من قاعدة اصدقائها عبر العالم.

المسار الجديد للجزائر في الاندماج بالحامض النووي الروسي ومجموعة البريكس، وتطابق الرؤية فيما يجب ان يكون عليه النظام العالمي الجديد، يمهد الطريق امام عدد من الدول العربية الاخرى بما فيها، مصر والعربية السعودية الى جانب عدد من الدول الافريقية ودول امريكا اللاتينية للالتحاق مبكراً ودمج اقتصاداتهم بنشاط مجموعة بريكس الاقتصادية الصاعدة، وهذا يدفعهم بالتاكيد نحو تحرير اقتصادات



مهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي

بلدانهم من اشتراطات وقيود صندوق النقد الدولي والبنك الدولي الغربيين. كما يضع هذا المسار الجديد المشروع العربي على السكة الصحيحة جنبا الى جنب مع دول العالم الكبرى للمشاركة الفاعلة في صناعة عالم متعدد الاقطاب والاطراف، بعيداً عن الهيمنة الامريكية والقطبية الاحادية، وقوانين المشرع في الكونجرس الامريكي. بالاضافة الى ذلك، يضع الجزائر على عتبة المفاعلات النووية، واستكشاف الفضاء الخارجي، الى جانب امكانية امتلاكها لصواريخ فرط الصوتية بنسختها الاصلية الروسية، كمقدمة لامتلاك صواريخ نووية على غرار جمهورية بيلاروسيا الحليف الوثيق لموسكو.